السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٣٦)

﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ﴾

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

صَحِيْفَةُ المُوَادَعَةِ

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الوَضْعُ الإِسْلامِيُّ في المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ ، إِذْ لَمْ يَبْقَ حَيٌّ مِنْ أَحْيَائِهَا إِلا وَدَخَلَ فِيْهِ الإِسْلامُ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « فُتِحَتِ البِلادُ بِالسَّيْفِ ، وَفُتِحَتِ المَدِيْنَةُ بِالقُرْآنِ » .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الوَضْعُ أَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُثَبِّتَ أَرْكَانَ الأَمْنِ ، وَالأَمَانِ ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ التَّفَرُّغِ لأُمُورِ الدَّعْوَةِ إِلىٰ الله تَعَالَىٰ ، فَعَقَدَ

عَهْداً مَعَ يَهُودِ المَدِيْنَةِ ، وَوَثَّقَ ذَلِكَ بِأَنْ أَمَرَ بِكِتَابَةِ المُعَاهَدَةِ عَلَىٰ صَحِيْفَةٍ . وَمِمَّا جَاءَ فِيْهَا مَا يَلي :

« ... وَإِنَّ علىٰ اليَهُودِ نَفَقَتَهُمْ ، وَعَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ نَفَقَتَهُمْ ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرُ عَلَىٰ مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيْفَةَ ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النُّصْحَ وَالنَّصِيْحَةَ ، وَالبِرَّ دُوْنَ الإِثْمِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيْفِهِ ، وإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ ، وَإِنَّ اليَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ المُؤْمِنِيْنَ مَا دَامُوا مُحَارِبِيْنَ ، وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيْفَةِ ، وَإِنَّ الجَارَ كَالنَّفْس غَيْرَ مُضَارٍّ وَلا آثِمٍ ، وَإِنَّه لا تُجَارُ حُرْمَةٌ إلا بِإِذْنِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّه مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيْفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَو

اشْتِجَارٍ[1] يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِلىٰ مُحَمَّد رَسُولِ الله ﷺ ، وَإِنَّ الله على أَتْقَىٰ مَا فِي هَذِه الصَّحِيْفَةِ وَأَبَرِّهِ ، وَإِنَّهُ لا تُجارُ قريَشٌ ، وَلا مَنْ نَصَرَهَا ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرُ عَلَىٰ مَنْ دَهَمَ[2] يَثْرِبَ ، وَإِذَا دُعُوا إِلىٰ صُلْحٍ يُصَالِحُوْنَهُ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ ، وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَىٰ المُؤْمِنِيْنَ إِلا مَنْ حَارَبَ في الدِّيْنِ : عَلَىٰ كُلِّ أُنَاسٍ حَصَّتَهُمْ مِنْ جَانِبِهِمْ الَّذِي قِبَلِهم ، وَإِنَّ يَهُودَ الأَوْسِ ، وَمَوَالِيْهِمْ ، وَأَنْفُسِهِم عَلَىٰ مِثْلِ مَا لأَهْلِ الصَّحْيْفَةِ مَعَ البِرِّ الحَسَنِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ

---

(١) أي : اختلاف .

(٢) أي : فاجأها .

الصَّحِيْفَةِ ، وَإِنَّ البِرَّ دُوْنَ الإِثْم : لا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلا عَلىٰ نَفْسِهِ ، وَإِنَّ الله عَلَىٰ أَصْدَقِ مَا في هَذِهِ الصَّحِيفة وَأَبرِّهِ ، وَإِنَّهُ لا يحول هَذا الكِتَابُ دُوْنَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ ، وَإِنَّه مَنْ خَرَجَ آمِنٌ ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالمَدِيْنَةِ ، إِلا مَنْ ظَلَمَ ، وَأَثِمَ ، وَإِنَّ الله جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَىٰ ، وَمُحَمَّدٌ رَسولُ الله ﷺ » .

* * *

كَذِبٌ... وَلَفٌّ... وَدَوَرَانٌ...!!

لَكِنْ هَلْ يَلْتَزِمُ اليَهُوْدُ بِمُعَاهَدَةٍ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ؟

أَبَدَاً ، فَقَدْ أَثْبَتَتْ وَقَائِعُ التَّارِيْخِ الْقَدِيْمِ وَالحَدِيْثِ : أَنَّ الْيهُوْدَ لا عَهْدَ لَهُمْ ، وَلا ذِمَّة..!!

تَرْوِي كُتُبُ السِّيْرَةِ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دعَاهُمْ إِلىٰ الإِسْلامِ ، وَرَغَّبَهُمْ فِيْهِ ، وَحَذَّرَهُمْ غِيَرَ الله ، وَعُقُوبَتَهُ .

فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ به .

فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَسَعْدُ بْنُ

عُبَادَةَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ وَهبٍ : يَا مَعْشَرَ يَهُود!! اتَّقُوا الله ، فَوَ الله إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ الله ، وَلَقَدْ كُنْتُم تَذْكُرُونَهُ لَنَا قَبْلَ مَبْعَثِهِ ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَاتِهِ .

فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَلَة ، وَوَهْبُ بْنُ يَهُوذَا : مَا قُلْنَا لَكُم هَذَا قَطُّ ، وَمَا أَنْزَلَ الله مِنْ كِتَابٍ بَعْدَ مُوسىٰ ، وَلا أَرْسَلَ بَشِيْرَاً ، وَلا نَذِيْراً بَعْدَهُ!!!!

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفَضَحَهُمْ ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (١) .

---

(١) سورة المائدة : ١٩ .

وَفي آيَاتٍ أُخْرَىٰ ، يَقُوْلُ الله تَعَالىٰ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ اليَهُودِ وَطَبَائِعِهِمْ : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] .

* * *

(١) سورة البقرة : ٨٧ـ ٨٩ .

أَسْئِلَةٌ تَعْجِيْزِيَّةٌ.. وَأَجْوِبَةٌ قُرْآنِيَّةٌ

وَاجْتَمَع كِبَارُ عُلَمَاءِ اليَهُودِ ، وَتَشاوَرُوا فِيما بَيْنَهُم حَوْلَ كَيْفِيَّةِ مُجَابَهَةِ دَعْوَةِ رَسُولِ الله ﷺ لِلْحَدِّ مِنْ سُرْعَةِ انْتِشَارِهَا .

وَاتَّفَقُوا عَلىٰ إِخْرَاجِهِ بِالأَسْئِلَةِ التَّعْجِيْزِيَّةِ ، وَلٰكِنَّهُمْ نَسُوا أَنَّ الله تَعَالىٰ قَدْ أَخَذَ عَلىٰ نَفْسِهِ الْعَهْدَ بِأَنْ يَحْفَظَ الرِّسَالَةَ وَالرَّسُولَ ﷺ ، وَمِنَ الأَمْثِلَةِ عَلَىٰ ذَلكَ :

جَاءَ بَعْضُ كِبَارِ اليَهُودِ ، منهم : النَّحَّام بْنُ زَيْدٍ ، وَكَرْدَمُ بْنُ قَيْسٍ.. إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ،

فَقَالوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ! أما تَعْلَمُ مَعَ الله إلٰهاً غَيْرَهُ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « اللهُ لا إلٰهَ إلا هُوَ ، بِذَلكَ بُعِثْتُ ، وَإلى ذَلِكَ أَدْعُو » .

فَأَنْزَلَ الله فيهم وَفي قَوْلِهِمْ :

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنعام : ١٩ـ ٢٠ .

...فِي أَحَدِ الأَيَّامِ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ جَالِساً بَيْنَ الصَّحَابَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ جبل بن أَبِي قُشَيْرٍ وَشَمْوِيل بْنُ زَيْدٍ ، فقالا : يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنَا مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ ، إِنْ كُنْتَ نَبِيَّاً كَمَا تَقُوْلُ! فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ فِيْهِمَا :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

... وَرَوىٰ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضي الله عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا قَدِم رَسُولُ الله ﷺ المَدِيْنَةَ ، واسْتَقَرَّ بِهَا ،

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٧ .

جَاءَهُ بَعْضُ أَحْبَارِ اليَهُودِ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ! أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] .

إِيَّانَا تُرِيْدُ أَمْ قَوْمَكَ ؟

قَالَ : « كُلاًّ » .

قَالُوا : فَإِنَّك تَتْلُو فِيْمَا جَاءَكَ : أَنَّا قَدْ أوتِيْنَا التَّوْرَاةَ فِيْها بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ .

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّها في عِلْمِ الله قَلِيْلٌ وَعِنْدَكُم في ذَلِكَ مَا يَكْفِيْكُمْ لَوْ أَقَمْتُمُوهُ » .

قَالَ : فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ عَلَيْهِ فيما سَأَلُوهُ عَنْهُ ، مِنْ ذَلِكَ :

---

(١) سورة الإسراء : ٨٥ .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

... وَذَاتَ يَوْمٍ ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَخَاهُ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاودَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ فِي المُرْسَلِيْنَ .

فَقَالَ بَعْض أَحْبَارِ اليَهُودِ : أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ ؟ يَزْعُمُ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ كَانَ نَبِيًّا! وَالله مَا كَانَ إلا ساحِراً...!!

فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ

---

(١) سورة لقمان : ٢٧ .

ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ...﴾[1] .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *

(١) سورة البقرة : ١٠٢ .